أثر مهارة التواصل كمدخل للاندماج في الوضعية البنائية في ضوء ازدواجية اللغة " اللغة الأمازيغية نموذجا " .

أ.سماح بشقة
جامعة سكيكدة (الجزائر).

1)إشكالية الدراسة:

البنائية صفة تطلق على كل النظريات أو التصورات التي تفسر التعلم على أنه علاقة تبادلية بين الذات العارفة وموضوع المعرفة، وهذه المعرفة تبنى من خلال تقديم توجيهات وإثارة تساؤلات تدفع المتعلم إلى استغلال قدراته لاكتشاف المعارف ثم اكتسابها وبنائها بصورة تسمح باستدعائها كلما اقتضت الضرورة، وذلك من خلال اندماج المتعلم في الوضعيات التعلمية بتوظيف آليات الربط والتنسيق والاستقطاب.

وهذا كله لا يتأتى دون وجود مهارة من الطرف الوسيط في العملية التعليمية (المعلم)، وهي مهارة التواصل بدءا بتوجيه الأدوار والتعليمات واستخدام عبارات الاستحسان والتشجيع ونقل الأفكار؛ مما يجعل مواقف التعلم أكثر ثراء وقيمة وذات معنى بما يحقق الفعالية والمبادأة.

وتأسيسا على ما سبق ستسعى هذه الدراسة إلى دراسة أثر مهارة التواصل المستخدمة من قبل معلم اللغة الأمازيغية في اندماج التلاميذ في الوضعية البنائية في ضوء ازدواجية اللغةالأم " العربية/ الأمازيغية".

وتتحدد مشكلة الدراسة بالتساؤلات الآتية:

- ما هي مؤشرات مهارة التواصل لأستاذ اللغة الأمازيغية في التعليم المتوسط؟
- ما هي استراتيجيات بناء وضعية اندماجية لتحقيق كفاءة قاعدية في نشاط اللغة الأمازيغية؟
- ما هي استراتيجيات التدريس باستخدام طريقة ثنائي اللغة؟

2) أهمية الدراسة: تتجلى أهمية الدراسة فيما يلي:

– تتناول مهارة التواصل كمدخل حاثي للاندماج في وضعيات تعلم بنائية.

– تتناول أستاذ التعليم المتوسط الذي يعد حلقة الربط وهمزة الوصل بين أطـــوار التعلم البنائية في التعليم.

– وتأتي أهمية الدراسة الحالية مما قد تتوصل إليه من نتائج يمكنها الإسهام فـــي إلقاء الضوء على مدى فاعلية استخدام مهارات التواصل لزيـــادة الانـــدماج فـــي الوضعيات البنائية المقترحة من قبل المعلم في ضوء ازدواجية اللغة.

– كونها تواكب الاهتمام الحالي بإصلاح المنظومة التربوية.

3) أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى:

– التعرف على مؤشرات مهارة التواصل لأستاذ اللغة الأمازيغية في التعلـــيم المتوسط.

– التعرف على استراتيجيات بناء وضعية اندماجية لتحقيق كفاءة قاعدية فـــي نشاط اللغة الأمازيغية.

– التعرف على استراتيجيات التدريس باستخدام طريقة ثنائي اللغة.

4) حدود الدراسة:

* **المجال الزمني:** من 11 أكتوبر إلى 25 أكتوبر 2010.

* **المجال الجغرافي:** 7 متوسطات على مستوى دوائر ولاية باتنة.

* **المجال البشري:** عينة قصدية من أساتذة الإكماليتين.

5) الفرضيات:

– تتأثر مهارة التواصل لأستاذ اللغـــة الأمازيغيـــة بـــالاختلاف فـــي اللغـــة الأم "أمازيغية/ عربية" للتلميذ.

– تتأثراستراتيجيات بناء وضعية اندماجية لتحقيق كفاءة قاعدية في نشاط اللغـــة الأمازيغية بالاختلاف في اللغة الأم " أمازيغية/ عربية" للتلميذ.

– توجد استراتيجيات بديلة للتدريس في ضوء ازدواجية اللغـــة الأم " أمازيغيـــة/ عربية" للتلميذ.

6) المفاهيم الرئيسية للدراسة:

* **مهارة التواصل:** هو تبادل ومشـــاركة الأفكـــار والآراء والمشـــاعر والخبـــرات والمعلومات بين طرفي العلاقة التفاعلية بكافة الوسائل والأساليب.

* **الوضعية البنائية:** هي مجموعة ظروف تقترح إشكالا معرفيا للمتعلم بما يتيح لـــه توظيف قدراته لمعالجة الإشكال المطروح، وهي تتكون من كفاءات تتـــدرج داخـــل سياق معين يتم الربط بينها لإنجاز عمل ما.

7) الجانب النظري للدراسة:

7-1) تعريف مهارة التواصل: هو استخدام أشكال مختلفة من المبادرات التعبيريـــة بدءا من التعبيرات الجسدية الوجدانية غير اللفظية، إلى الإشارات أو الكلمات.

(صلاح الدين عراقي محمد، 2000، ص:2)

7-2) عناصر مهارة التواصل:

* **المرسل:** الذي يحدد الأفكار والاتجاهات والآراء التي يرغب في إيصـــالها للآخرين.

* **الرســـالة:** مجموعة معان يرسلها المرسل إلى المستقبل وذلك بهدف التأثير في سلوكاته، لذلك فإن الرسالة تعبر عن محتوى التواصل.

* **قناة الاتصال:** مجموعة الرموز اللفظية وغير اللفظية التي تنقـــل المعـــاني التي تحتويها الرسالة.

* **المستقبل:** وهو المتلقي للرسالة.

* **الفهم المشترك في الرسالة:** بين المرسل والمستقبل.

* **التغذية الراجعة:** حيث تتم عندما يستجيب المستقبل للرسالة ويرد عليها.

(نايفة الشوبكي وآخر، 2008، ص:110)

7-3) متطلبات مهارة التواصل:

* **مهارة السلوك غير اللفظي:** وهو عمليات الاتصال الخارجة عـــن إطـــار الكلمات المنطوقة أو المكتوبة.

* **مهارة الإصغاء الفعـــال:** وهو يشتمل على ثلاث عمليات: استقبال الرسالة، معالجة المعلومات، إرسال الرسالة.

* **مهارة عكس المشـــاعر:** تركز هذه المهارة على المحتوى الوجداني، حيث تهدف إلى مساعدة الأفراد في التعرف إلى مدى فهم الآخرين لهم، وتتضمن: الإصغاء الفعال لمعاني الفرد ومفاهيمه، ملاحظة السلوك غير اللفظي، الاستجابة لمعاني الفرد الانفعالية.

* **مهارة التعاطف:** وتعني فهم الآخر بشكل جيد من خلال المشاركة الوجدانية له وتمثل أفكاره.

* **مهارة عكس المحتوى:** أي قيام الفرد المستجيب بإعادة حديث الفرد المرسل من خلال استخدام عبارات مختلفة على أن تحمل نفس المعنى الذي قصده المرسل.

* **مهارة المواجهة:** أي قدرة الفرد المستقبل على مساعدة المرسل في إدراك وفهم أسباب التناقض لديه وذلك من خلال اكتشاف وتوضيح التناقض ما بين الخبرات الانفعالية والمعرفية لديه وتعمل على تعديل سلوك الفرد.

* **مهارة الاستيضاح:** أي طلب الفرد تفسيرا وشرحا لبعض جوانب الغموض في رسالة المرسل، وهو عادة ما يكون في صيغة سؤال.

* **مهارة التغذية الراجعة:** أي إخبار المرسل عن أثر محتوى الرسالة في المستقبل. (نايفة الشوبكي وآخر، 2008، ص ص:114،115)

7-4) تعريف المقاربة بالكفاءات:

هي إعداد الدروس والبرامج التعليمية بمراعاة ما يلي:

- التحليل الدقيق للوضعيات التي يتواجد فيها المتعلمون أو التي سوف يتواجدون فيها.
- تحديد الكفايات المطلوبة لأداء المهام وتحمل المسؤوليات الناتجة عنها.
- ترجمة هذه الكفايات إلى أهداف وأنشطة تعلمية.

(أحمد الزبير، د س، ص ص: 4،5)

7-5) خصائص الوضعية في المقاربة بالكفاءات:

***إدماجية:** تعبئ وتجند مختلف مكتسبات المتعلم من معارف؛ حركات ووجدان.

***إنتاجية:** وفيها تختلف المخرجات باختلاف حالة الوضعية (مغلقة/ مفتوحة).

***تعلمية:** أين تكون المسؤولية منوطة بشكل أكبر بالمتعلم.

(ليلى جباري، د س، ص ص: 6،8)

7-6) مكونات الوضعية البنائية في المقاربة بالكفاءات:

* **السند:** وهي عناصر مادية مقترحة على المتعلم تتكون من:
  - السياق (ظروف تكون قريبة من حياة المتعلم واهتماماته).
  - معلومات كاملة أو ناقصة على شكل معطيات.
  - وظيفة تحدد الهدف من الوضعية.
* **المهمة:** وهي التنبؤ بمخرجات الوضعية.

* **التعليمـــة:** وهي مجموعة توصيات الوضعية.

(عبد الكريم غريب، 2004، ص ص:20،24)

8) منهج الدراسة:

تم استخدام المنهج الوصفي باعتباره الأنسب لأهداف الدراسة.

9) عينة الدراسة:

تم الاعتماد على أسلوب العينة غيـــر العشـــوائية Non-Random Sample باختيار عينة قصدية.

10) أدوات الدراسة:

تم الاعتماد على استبيان به ثلاث أسئلة مفتوحة:

– ما هي مؤشرات مهارة التواصل بينك وبين التلميذ في مادة اللغة الأمازيغية؟

– ما هي استراتيجيات بناء وضعية اندماجية لتحقيق كفاءة قاعدية في نشاط اللغة الأمازيغية؟

– ما هي استراتيجيات التدريس البديلة في ضوء ازدواجيـــة اللغـــة للتلميـــذ " الأمازيغية/ العربية"؟

11) عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

11-1) عرض ومناقشة نتائج الفرضية الأولى:

– تتأثر مهارة التواصل لأستاذ اللغة الأمازيغية بالاختلاف فـــي اللغـــة الأم "أمازيغية/ عربية" للتلميذ.

تم الاعتماد على تحليل المضمون لاستجابات أفراد العينة و أمكـــن تبويـــب الاستجابات وفقا لما يلي:

- التنظيم المشترك للتقارب والمسافة: لا بد للأستاذ مـــن اســـتغلال التوزيـــع الفراغي للقسم لتحقيق التوازن في استخدام التلميذ لآلية الانتباه بشـــكل تـــوفيقي بـــين تنظيمي المسافة والتفاعل مع الآخر(الأستاذ).
- التنظيم المشترك للاستكشاف: لا بد للأستاذ من التخطيط لأنشطة استكشافية تتسق مع اهتمامات التلميذ للوصول إلى موضوعات ومفردات مشتركة فـــي العلاقـــة التواصلية.
- التنظيم المشترك للتفاعل الاجتماعي: ويتحقق ذلك بالاعتماد على مجموعة من الآليات منها:

* التوافق الوجداني: وذلك من خلال التواتر بين الأستاذ والتلميذ في الاستجابات المبنية على الحركة الإيقاعية المتوافقة للتواصل الوجداني القائم بينهما.

* التماثل: عن طريق أنشطة يكون الغرض منها زيادة الانتباه وزيادة المساحة التفاعلية والذاكرة، وفي نفس الوقت تطوير وسائل لاستخدام التواصل غير اللفظي في حال عدم تحقق ما سبق في ضوء ازدواجية اللغة.

* لتبادلية: من خلال أنشطة تسمح بتوظيف ميكانيزمات التفاعل الاجتماعي القائم على التبادل وعلى الحوار الارتجالي، أين يترك المجال للتلميذ حتى يعبر عن توقعه لمبادرات الأستاذ بطرح فكرة ما أو ترك المجال للتوالد الذهني ليى كل تلميذ في ضوء الموروث اللغوي لديه.

* الانتباه المشترك: وذك من خلال لعب الأدوار (تلميذ/ تلميذ) كل بلغته الأم (عربية/أمازيغية)، أو انتقال الأدوار، وهي من الشروط المبدئية للنظر بمنظور الآخر، وذلك يمكن أطراف العملية التفاعلية التواصلية من بناء تصورات ذهنية للموقف التفاعلي في ضوء إمكانية المقابلة بين اللفظ ومعناه في كل لغة (عربية/أمازيغية).

- بناء التعبيرات التواصلية: أي وجود لغة تفاوضية حول معنى مشترك، وذلك من خلال المبادلات التفاعلية بين الأستاذ والتلميذ، أين تتطور التعبيرات التلقائية إلى مفردات مشتركة، وبالتالي تكتسب هذه التعبيرات وظيفتين حيويتين في آن واحد؛ هما الوظيفة المعرفية والوظيفة التواصلية.
- التواصل الكلي: أي استخدام كل القنوات لتبادل المعنى بين التلاميذ مع مراعاة الفروق الفردية، وتمثل التعبيرات الطبيعية جزء هاما من التواصل الكلي بالإضافة إلى الأنظمة المساندة كاستخدام لغة مساعدة.

11-2) عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثانية:

-تتأثر استراتيجيات بناء وضعية اندماجية لتحقيق كفاءة قاعدية في نشاط اللغة الأمازيغية بالاختلاف في اللغة الأم " أمازيغية/ عربية" للتلميذ.

تم الاعتماد على تحليل المضمون لاستجابات أفراد العينة و أمكن تبويب الاستجابات وفقا لما يلي:

- مرحلة التحضير: ويتم فيها مراعاة ما يلي:

– عرض الأستاذ لظروف التعلم: الهدف، الأهمية، سير العمل التعلمي، الوسائل المساعدة، المدة، شروط التقويم، باللغة الأمازيغية ثم اللغة العربية.

– يثير المعارف المكتسبة سلفا بأنواعها (تصريحية؛ إجرائيـــة، اشـــتراطية)، باللغة الأمازيغية ثم اللغة العربية.

– يصنف المعارف السابقة بتنظيمها في شبكة دلالية تجمع بين الدال والمدلول للغتين الأمازيغية والعربية.

– يبحث عن علاقات الشبكة الدلالية بالتعلمات المنجزة.

– يأخذ بالاعتبار المعارف المجهولة لدى المتعلم قصد استحداث أزمة معرفية تعلمية تراعي الفروق الفردية في اللغة الأم (عربية/أمازيغية).

–يلاحـــظ ردود فعـــل المتعلمـــين فـــي ضـــوء انتمـــائهم اللغـــوي الأم (عربية/أمازيغية).

- مرحلة الإنجاز: ويتم فيها مراعاة ما يلي:

– تلقين المعرفة(معارف تصريحية) وتعليم الأداء(معارف إجرائية وأخـــرى شرطية) وذلك في علاقتها بأهداف التعلم المسطرة، مع مراعاة المرجعية اللغوية لكل تلميذ (عربية/أمازيغية).

– استخدام آليات متعددة لاستدخال التلميذ لاستراتيجيات معرفية ومـــا بعـــد معرفية وذلك من خلال: عملية التشكيل، الممارســـة الموجهـــة، الممارســـة الذاتيـــة المستقلة، من خلال التعليم التعاوني الذي يسمح بالتواصل بـــين التلاميـــذ مـــن كـــلا المرجعيتين بغرض التبادل المعرفي الأفقي وما يسمح بـــه مـــن مشـــاركة وجدانيـــة وتقمص وجداني.

– التدرج بالتلميذ للوصول به إلى إعادة تنظيم معارفه وتغيير شبكته الدلاليـــة تدريجيا.

– التوليف بين التسجيل والإعلام للتطور الذي يحرزه التلميذ فـــي تحصـــيل الكفاءة المستهدفة.

– توضيح تزامني لكل خطوة مما سلف ذكره للتلميذ.

11-3) عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثالثة:

–توجد استراتيجيات بديلة للتدريس في ضوء ازدواجية اللغة الأم " أمازيغية/ عربية" للتلميذ.

تم الاعتماد على تحليل المضمون لاستجابات أفراد العينة و أمكن تبويب الاســـتجابات وفقا لما يلي:

- استراتيجيات الفصل: ومن الطرق التي يمكن من خلالها الفصل ما بين اللغتين:

* الفصل من خلال نوعية النشاط: مرحلة الاستكشاف باللغة العربية، ومرحلة تحديد المشكلة باللغة الأمازيغية.

* الفصل عن طريق الأشخاص: التداول على تدريس نفس الموضوع بمدرسين أحدهما يستخدم اللغة العربية والآخر يستخدم اللغة الأمازيغية.

* الفصل من خلال الوقت: المواترة المتواقتة بين حصة باللغة العربية وحصة باللغة الأمازيغية لنفس الموضوع.

*الفصل من خلال المكان: تستخدم اللغة العربية في القسم واللغة الأمازيغية في القسم، واللغة العربية في الحصص التنفيسية.

* الفصل من خلال أدوات المنهج: الكتاب باللغة الأمازيغية و CD المرافق له باللغة العربية.

- استراتيجية نظرة عامة/ دراسة/ تغذية راجعة: وذلك بالاعتماد على الخطوات الاتية:

– تقديم الدرس باللغة العربية.
– المناقشة باللغة الأمازيغية.
– التغذية الراجعة باللغة العربية أو العكس.

- استراتيجيات الشرح (التفسير أو الترجمة): وذلك بتوظيف الميكانيزمات الآتية:

– وضع صورة ذهنية للتلميذ بحيث يكون لديه تصور واضح عن الموضوع.
– عرض أسباب اختيار الموضوع، خلفية الموضوع، التفسير والتوضيح للأهداف والمرامي والغايات المتوخاة.
– استخدام أسئلة لشد الانتباه.
– تقمص الشخصية أي التوحد الوجداني مع التلميذ للتمكن من استبطان معالجته المعرفية لمدخلات الموضوع المقترح.
– إعادة صياغة الأفكار بصيغ وكلمات مختلفة تخدم نفس السياق المقترح.
– اختيار وضعيات توضح معنى الموقف.
– التوليف بين المتطلبات سالفة الذكر وبين مضمون لغوي مغاير (اللغة الأمازيغية أو العكس).

وخلاصة ما سبق أن توظيف المقاربة بالكفاءات في ضوء شـــرطي مهـــارة التواصل من قبل الأستاذ، وازدواجية اللغة الأم (عربية/ أمازيغية) من قبـــل التلميـــذ، رهن العديد من الصعوبات التي تتطلب إعادة النظر على عدة مستويات:

- التعلم الخبراتي بالدرجة الأولى التزام شخصي تندمج فيه الشخصـــية بكاملهـــا، وتعذر ذلك في ضوء الانتماء اللغوي الأم للتلميذ، وعدم النضج الانفعـــالي الـــذي تطغى عليه في هذه المرحلة التعصبات الفكرية.
- تعذر توظيف الاستراتيجيات البديلة في ضوء جمود نظام التفتيش التربوي الذي لا يشجع المبادرات الفردية في إيجاد حلول للمشكلات التي قد تعترض ســـيرورة الأهداف التربوية المسطرة.
- استنزاف الوقت في محاولة التوليف بين الانتماءات اللغوية لكل تلميذ بغـــرض الوصول إلى الإدراك المستقل للتلاؤم بين المعرفة التي يجب اكتسابها وموضوع التعلم.

قائمة المراجع:

1) عبد الكريم غريب، **بيداغوجيا الكفايات**،عالم التربية، الدار البيضاء–المغرب، ط1، 2004

2) أحمد الزبير، **سند تربوي تكويني على أساس المقاربة بالكفاءات**، دائرة البرامج والـــدعائم التكوينية، الحراش–الجزائر.

3) ليلى جباري، **المدرسة الجزائرية في ضوء المقاربة بالكفاءات**، www.djelfa.info

4) صلاح الدين عراقي محمد، **دراسة التواصل غير اللفظي للمعلم وعلاقته بمفهـــوم الـــذات لدى الطفل المعوق سمعيا**، ندوة الاتجاهات المعاصرة في التعليم والتأهيل المهنـــي للمعـــوقين سمعيا، الرياض، 1–3 فبراير 2000.

5) نايفة الشوبكي، نزيه حمدي، **فاعلية برنامج لتدريب الوالدين على مهارات الاتصـــال فـــي خفض الضغوطات النفسية وتحسين مستوى التكيف لدى الآباء وأبنائهم**، مجلـــة البصـــائر، المجلد 12، العدد 1، آذار 2008.